

٤٠

الفصل الرابع

المسئولية والاستقلال

المسئولية : الأعمال اليومية والقيم

يتطلع الآباء في كل مكان إلى طرق تعليم المسئولية للأطفال . وفي كثير من البيوت يستخدمون الأعمال اليومية في حل هذه المشكلة . فيعتبر التخلص من النفايات والتعامل مع جامع القمامة والبواب وقضاء بعض الحاجيات البسيطة من الخارج - أعمالاً مؤثرة في جعل الصبيان يتحملون المسئولية ؛ ومن المزعوم والمعترف به أن غسل الأطباق وترتيب البيت - وخصوصاً الأسرة - أساس مسئولية البنات . وفي الواقع الفعلي ، أن مثل هذه الأعمال اليومية ، بالرغم من أهميتها بالنسبة لترتيب البيت وإدارته - فإنها قد لا يكون لها التأثير الإيجابي في خلق الإحساس بالمسئولية . بل بالعكس ، ففي بعض البيوت قد ينتج عن هذه المهام اليومية معارك يومية تجلب المعاناة والغضب لكل من الأطفال والآباء . إن الإصرار التعسفي على أداء الأعمال اليومية قد ينتج عنه طاعة ، ومطابخ نظيفة ، وحجرات مرتبة ، ولكن قد يكون له أثر غير مرغوب فيه في تشكيل الشخصية .

إن الحقيقة الجلية هي أن المسئولية لا يمكن أن تفرض . إنها يمكن أن تنمو فقط من الداخل ، وتُعَدَّى وتُوجَّه بواسطة القيم المستوعبة في البيت والمجتمع المحيط به . والمسئولية غير المرتبطة بالقيم الإيجابية يمكن أن تكون مضادة للمجتمع وهدامة . إن السفاحين والمجرمين غالباً ما يُظهرون إخلاصاً عظيماً ومسئولية عالية في العلاقة التي لكل منهم وللآخر ونحو عصاباتهم . إن أعضاء (المافيا) على سبيل المثال ، سيقومون بواجباتهم في شغف قاتل ، وينفذون الأوامر ، ويقدمون المساعدة المطلوبة للزملاء المحتاجين ويقومون برعاية أسر المسجونين .

معين المسئولية الذى لا ينضب :

بينما نرغب من أطفالنا فى أن يكونوا أشخاصاً مسئولين ، نريد أن تنبع مسئوليتهم من القيم السامية ، التى من بينها تبجيل الحياة والاهتمام بخير البشر وصالحهم . وبتعبير أكثر بساطة يجب أن تبنى المسئولية على احترام الحياة ، والحرية ، والسعى وراء السعادة . إننا عادة لانفكر فى مشكلة المسئولية فى إطارها العريض . إننا نرى المسئولية ، أو نقصانها ، فى أمور أكثر مادية : فى حجرة طفلنا غير المرتبة ، فى التأخر عن المدرسة ، أو فى إهمال الواجبات المنزلية ، أو فى مقاومة أوامر ومطالب الآباء ، أو فى العصيان المتجهّم ، أو فى العادات السيئة .

ومع ذلك ، فقد يكون الطفل مؤدباً ، يعتنى بنظافته ونظافة حجرته ، ويقوم بواجباته على أكمل وجه ، ولا يزال يتخذ قرارات غير مسئولة . هذا صحيح خاصة بالنسبة للأطفال الذين دائماً ما يقول لهم آباؤهم : ماذا يفعلون ، والذين لديهم فرصة ضئيلة لممارسة الحكم والتمييز ، والقيام بالاختيار ، وتنمية المعايير الداخلية .

يعتبر رد الفعل العاطفى الداخلى للطفل لتعليقاتنا عنصراً حاسماً فى كمية ما يتعلمه مما نريد منه أن يعرفه . ولا يمكن تعليم القيم بطريق مباشر . إنها تُمتص ، وتصبح جزءاً من الطفل ، فقط من خلال تامله ، واندماجه ، ومحادثاته للأشخاص الذين يكسبون حبه واحترامه .

وهكذا ، ترجع مشكلة المسئولية فى الأطفال إلى الأبوين ، أو بتحديد أكثر إلى قيم الوالدين المنعكسة فى ممارسات تربية طفلها .

والسؤال المطروح الآن : هل توجد ممارسات واتجاهات محددة يمكن أن تخلق حسناً مرغوباً فيه للمسئولية فى أطفالنا ؟ إن بقية هذا الفصل هى محاولة للإجابة عن هذا السؤال من الناحية النفسية .

الأهداف المرغوب فيها والممارسات اليومية :

تبدأ المسئولية فى الأطفال مع موقف الآباء ومهارتهم . وتتضمن المواقف الاستعداد

بالسماح للأطفال بالشعور بكل مشاعرهم ، وتتضمن المهارات المقدرة على إيضاح الطرق المقبولة في التعامل مع المشاعر .

والمصاعب الناجمة عن تحقيق هذين المطلبين جسيمة للغاية . فأباؤنا ومدرسوننا لم يُعدُّونا الإعداد الكافي للتعامل مع العواطف . وهم أنفسهم لم يعرفوا كيف يسايرون المشاعر القوية . وعندما كانوا يواجهون بعواصف عنيفة في الأطفال ، كانوا يحاولون إنكارها أو التبرئة منها ، أو كبتها ، أو تلطيفها . وكانوا يستخدمون تعبيرات مهدئة ليست لها فائدة كبيرة :

إنكار : إنك لاتقصد ماتقول في الواقع ؛ نعرف أنك تحب أخاك الصغير .

تبرئة : لست أنت الذى يتمرد ، إنه الشيطان الذى فى داخلك .

كبت : إذا ذكرت كلمة «أكره» مرة أخرى فستحصل على «علقة» عمرك .

الطفل الظريف لايشعر هكذا .

تلطيف : فى الواقع أنت لاتكره أخاك . ربما تغتاظ منه . ولكن يجب أن ترتفع فوق مثل هذه المشاعر .

مثل هذه الأقوال تتجاهل حقيقة أن العواطف مثل الأنهار ، لايمكن إيقافها ، بل يمكن فقط تحويلها . والمشاعر القوية ، مثل فيضان النيل قبل السد العالى ، لايمكن نكرانها أو تبريرها . ومحاولة تجاهلها دعوة لكارثة . يجب الاعتراف بها وإقرار قوتها وسلطانها . كما يجب التعامل معها باحترام وتحويلها ببراعة . وبعد تحويلها فى المجرى الصحيح قد تثير وجودنا بصورة مفاجئة وتأتى بالنور والسعادة لحياتنا .

إن هذه هى الأهداف الشائخة . والسؤال لايزال باقياً :

ماهى الخطوات التى نستطيع اتخاذها للربط بين الأهداف المرغوب فيها والممارسات اليومية ؟ ومن أين نبدأ ؟

برامج طويلة المدى وقصيرة المدى :

يبدو أن الإجابة هى فى عمل برنامج يتكون من مجموعة طويلة المدى وقصيرة

المدى . ونحتاج على الفور ، إلى اعتراف صريح بأن تربية الشخصية تعتمد على علاقتنا مع أطفالنا ، وأن السمات الشخصية لا يمكن أن تنقل عن طريق الكلمات ، ولكن يجب أن توضح بالدليل .

والخطوة الأولى في البرنامج طويل المدى هي أن نصبح مهتمين بما يفكر فيه الأطفال ويشعرون به داخلياً ، وليس مجرد إذعانهم أو عصيانهم الخارجي .

وكيف نصبح واعين بما يفكر ويشعر به الأطفال داخلياً؟

إن الأطفال أنفسهم يعطوننا المفاتيح . فمشاعرهم تأتي من خلال كلمة ونبرة صوت ، من خلال إيحاءة ووقفه . كل ما نحتاج إليه هو أذن تسمع ، وغير ترقب ، وقلب يشعر .

إن شعارنا الداخلي هو : دعنى أفهم . دعنى أظهر أننى أفهم . دعنى أظهر وأعتبر عمّا لا يتتقد أو يشجب بشكل تلقائى .

عندما يعود الطفل للبيت من المدرسة صامتاً يجرجر نفسه فى ثقل وبطء ، يمكننا أن ندرك من خطواته أن شيئاً بائساً قد حدث له . وطبقاً للشعار الذى نؤمن به ، فلن نبدأ حوارنا بتعليقات انتقادية مثل :

- لماذا هذا الوجه النكد الذى يجلب النحس و «يقطع الخميرة من البيت» ؟

- ماذا فعلت ، فقدت أعز أصدقائك ؟

- ماذا فعلت هذه المرة ؟

- أى مشكلة أتيت بها اليوم ؟

طالما أننا مهتمون برد فعل الطفل الداخلى ، فستجنب التعليقات التى تخلق الاستياء والكراهية فى داخله ، التعليقات التى تجعله يتمنى أن يسقط العالم كله ميتاً .

وبدلاً من ذلك ، يمكن للأبوين أن يظهرها الفهم بقولها أى عبارة مما يلى :

- شىء ما غير سار حدث لك .

- لم يكن يوماً طيباً بالنسبة لك .

- كان يوماً شاقاً .

- شخص ما سبب لك وقتاً عصيباً .

إن هذه الأقوال أفضل من أسئلة مثل :

- ما خطبك ؟

- ماذا حدث لك ؟

فالأئلة تحمل الفضول ، والأقوال تحمل التعاطف .

لا مفر من حقيقة أن الطفل يتعلم مما يعيشه . وإذا عاش مع النقد ، فلن يتعلم المسؤولية . ويتعلم أن يدين نفسه ويبحث عن أخطاء الآخرين . ويتعلم أن يشك في حكمه ، ويستخف بقدرته ، ويرتاب في نوايا الآخرين ، وفوق كل شيء يتعلم أن يعيش مع التوقع المستمر لقدر يتوعد .

من الحرب إلى السلام :

إن الآباء الذين في معمعة الحرب المعلنة أو غير المعلنة مع أطفالهم على الواجبات اليومية والمسئوليات يجب أن يدركوا حقيقة أن هذه الحرب لن يكسبوا . فالأطفال عندهم وقت و طاقة أكثر لمقاومتنا مما لدينا نحن لكي نُجبرهم حتى لو أننا كسبنا معركة ونجحنا في فرض إرادتنا ، فقد يقابلون ذلك بأن يصبحوا خائري النفوس مغمومين ومصابي الأعصاب ، أو متمردين جانحين .

هناك طريقة واحدة فقط نستطيع بها أن نكسب : بكسبنا الأطفال أنفسهم . وقد تبدو هذه المهمة مستحيلة ، ولكنها ليست أكثر من أنها صعبة ، ونحن لدينا القدرة على تحقيقها . وحتى لو أننا حالياً لسنا على علاقة وفاق و صداقة مع الطفل ، فيمكن أن تبني مثل هذه العلاقة في وقت قريب .

ويمكن للآباء أن يبدأوا بتغييرات محببة في أطفالهم بواسطة :

١- الاستماع بحساسية . إن الأطفال يعانون من الإحباط والامتعاض عندما يبدو على الآباء أنهم غير مهتمين بمشاعرهم وأفكارهم . ونتيجة لذلك يدركون أن أفكارهم غبية ولا تستحق الانتباه ، وأنهم هم أنفسهم غير جديرين بأن يُحَبُّوا أو يُجَبُّوا .

والأب الذى يستمع بانتباه ينقل لطفه أن أفكاره قيِّمة ، وأنه محترم . ومثل هذا الاحترام يعطى الطفل الإحساس بالجدارة والاستحقاق . والإحساس بالاستحقاق يساعد الطفل على التعامل مع عالم الأحداث والناس بشكل مؤثر .

٢- الامتناع عن «عناقيد الغضب» . يجب على الآباء التجنب الواعى للكلمات والتعليقات التى تخلق الكراهية والامتعاض .

الإهانات : إنك عار على مدرستك وسمعة سيئة لعائلتك . .

الشتائم : متشرد ، زفت ، عيبط ، سمج . .

التنبؤ : نهايتك إصلاحية الأحداث ، قابلنى إذا نجحت . .

التهديد : إذا لم تسمع الكلام ، فلا بد أن تنسى موضوع مصروفك .

الاتهامات : إنك دائماً الذى تبدأ المشاكل .

إصدار الأوامر : اخرس ، أغلق فمك ، ولا كلمة ، ولا نفس ، دعنى أقول لك شيئاً أو اثنين .

٣- ذكر المشاعر والأفكار بدون هجوم . فى المواقف العصبية يصبح الآباء أكثر فعالية عندما يذكرون مشاعرهم وأفكارهم بدون هجوم على شخصية طفلهم وكرامته .

وعندما ينصت الآباء بحساسية ، ويتوقفون عن التعليقات الجارحة ويصرِّحون بمشاعرهم ومطالبهم بدون إهانة ، تبدأ عملية التغيير فى الطفل . والجو الودى المؤيد يشد الطفل أقرب لوالديه ، ومواقفها المنصفة العادلة ، ومراعاتها للمشاعر والظروف ، وأدبها وكياستها يلاحظها الطفل ويحاكيها . إن هذه التغييرات لن تحدث فى يوم وليلة ، ولكن الجهود حتماً ستكافأ فى النهاية .

وباتخاذ هذه المواقف والممارسات ، سينجز الأبوان جزءاً كبيراً من تربية الطفل وإعداده للمسئولية . ومع ذلك ، فالقدوة فقط ليست كافية . فالحرص بالمسئولية يحصل عليه كل طفل من خلال جهوده وتجاربه هو . في حين أن قدوة الأبوين تخلق موقفاً ومناخاً محبين للتعلم ، وخبرات معينة تدعم التعلم وتجعله جزءاً من شخصية الطفل ؛ لذلك من المهم تحديد المسئوليات المعينة لإعطائها للأطفال في مراحل النضج المختلفة .

المسئولية : التعبير والاختيار :

إن الأطفال ليسوا مولودين بحس مبنى داخلهم للمسئولية . ولا هم يكتسبونها بشكل تلقائي في سن معينة . إن المسئولية ، مثل العزف على البيانو ، تتحقق ببطء ، وعلى مدى سنين طويلة . إنها تتطلب تدريباً يومياً على ممارسة الحكم وصنع الاختيارات إزاء الموضوعات المناسبة لعمر الفرد وإدراكه .

مناطق النزاع وممالك المسئولية :

التربية من أجل المسئولية يمكن أن تبدأ مبكراً جداً في حياة الطفل . ويمكن أن تشجع المسئولية بالسماح للأطفال بالتعبير عن أنفسهم ، وبالاختيار ، حيثما يتبين ذلك ، في المواضيع التي تؤثر فيهم . وهنا يقام تمييز مترو بين التعبير والاختيار . هناك مواضيع تقع كلية ضمن مملكة الطفل في المسئولية . في مثل هذه الأمور يجب أن يكون له الاختيار . وهناك أمور تؤثر على صالح الطفل وهي ضمن مملكة مسؤوليتنا تماماً . في مثل هذه الأمور قد يكون له صوت أو حق التعبير ، ولكن ليس له حق الاختيار .

إننا نقوم بعملية الاختيار من أجله . . . وعلينا أن نساعد على تقبل الأمر المحتوم .

والمطلوب الآن هو التمييز الواضح بين هاتين المملكتين من المسئولية . دعونا نرى بعض المجالات التي يشيع فيها النزاع بين الآباء والأبناء .

المأكل :

حتى الطفل الذي عمره ستان يمكننا أن نسأله إذا كان يريد نصف كوب من

الحليب أو كوباً كاملاً . وطفل الأربع سنوات يمكن إعطاؤه الاختيار بين نصف برتقالة أو برتقالة كاملة . وطفل الست سنوات يمكنه أن يحدد بنفسه إذا كان يريد البيض مسلوفاً أو مقلياً .

يجب عرض الأمور على الأطفال في كثير من المواقف ، حيث عليهم أن يقوموا بالاختيار . الآباء ينتخبون المواقف ، والأطفال يقومون بالاختيارات .

ولا يُسأل الطفل الصغير :

- ماذا تريد للإفطار ؟

بل يُسأل :

- هل تريد البيض مقلياً أم مسلوفاً ؟ هل تريد الخبز محمصاً أم لا ؟ هل تريد عصير برتقال أم حليباً ؟ هل تريد الحليب ساخناً أم بارداً ؟

إن ما ننقله للطفل هو أن له بعض المسؤولية من أجل شئونه الخاصة . إنه ليس مجرد مستقبل للأوامر ، بل مشارك في القرارات التي تشكل حياته . ومن مواقف الوالدين يجب أن يحصل الطفل على رسالة واضحة : إننا نوفر الشئ مع الحنان ، كما نوفر الحليب والكعك . . والاختيار هو مسئوليتك أنت .

ومشاكل المأكل بالنسبة للأطفال غالباً ما تخلقها الأمهات اللاتي يأخذن على عاتقهن اهتماماً شخصياً عظيماً جداً في براعم الذوق لأطفالهن . إنهن يضايقن أطفالهن بإجبارهم على أكل خضراوات معينة ، ويُجبرنهم (بشكل غير علمي إطلاقاً) على أكل خضار أكثر صحة وفائدة لكل عضو أو جهاز في الجسم . ومن الأفضل بالنسبة للأطفال ألا يكون للأُم مشاعر قوية نحو المأكل ؛ إنها تقدم المأكل الذي له النوعية الجيدة والطعم اللذيذ وتثق في أن أطفالها يأكلون كثيراً أو قليلاً حسب ما تطلبه شهيتهم ، بالطبع على ألا يتعارض هذا مع أي مشورة طبية . ومن الواضح ، أن المأكل يقع ضمن مملكة الطفل في المسؤولية .

الملبس :

وعند شراء الملبس للأطفال ، فمن مسئوليتنا أن نقرر كل ما يحتاجون إليه ، ونُحدّد ميزانيته . وفي المحل ، ننتخب عدة نماذج . . تكون جميعها مقبولة لنا من ناحية السعر والشكل . والطفل سيختار منها ما يفضل أن يلبسه . وهكذا حتى طفل الست سنوات يمكنه أن يكون له الاختيار في شراء جواربه وقميصه . . من بين ما قد انتخبناه من قبل .

وهناك كثير من البيوت ، ليس للأطفال فيها أى تجربة ، ولا ينمّون أى مهارة في شراء الملبس لأنفسهم . وفي الحقيقة ، هناك كبار لا يستطيعون شراء حلة لأنفسهم بدون اصطحاب زوجة أو أم للقيام بعملية الاختيار .

ويجب أن يسمح للأطفال الكبار ، بصفة خاصة ، أن يلبسوا ما هو ليس مختلفاً جداً عن المستويات المقبولة لأصدقائهم .

إن طفلاً في قدميه حذاء بنى في مدرسة ، نمط الحذاء فيها لهذا العام هو الحذاء الأسود - سيكون عرضة (ربما بشكل غير ضروري) للهجوم والسخرية . يجب على الآباء أن يعوا ما هو معتبر «لائق» و«غير لائق» بين الأطفال . إن ممالك المسئولية بالنسبة للملبس يمكن ذكرها كالآتي : نحن نقوم بالانتخاب ، وهم بالاختيار .

الواجب المنزلى :

من السنة الدراسية الأولى فما فوق ، يجب أن يعلن موقف الآباء بأن الواجب المنزلى هو مسئولية الطفل ومدرسته بشكل قاطع . ويجب على الآباء ألا يزعموا الأطفال بخصوص الواجب المنزلى . يجب ألا يشرفوا عليه أو يصحّحوه ، وأنا واع تماماً بأن هذه السياسة قد تكون عكس ما تطلبه المدرّسة ، إلا إذا دعاهم الأطفال أنفسهم للإشراف أو للتصحيح عندما يأخذ الأب أو الأم على عاتقه المسئولية عن الواجب المنزلى ، ويدعه الطفل ، فلن يستطيع الأب أو الأم التحرر من هذا القيد . وقد يصبح الواجب المنزلى سلاحاً في يدي الطفل ليعاقب ، ويبتز ، ويستغل الوالدين . يمكن تجنب كثير من

البؤس ، وإضافة كثير من السرور لحياة البيت ، إذا أظهر الآباء اهتماماً أقل في التفاصيل الدقيقة لواجبات الطفل ، وبدلاً من ذلك يصرّحون بشكل يقيني :

- الواجب المنزلي هو من مسؤوليتك . الواجب المنزلي بالنسبة لك بمثابة العمل بالنسبة لنا .

ويجب ، في السنوات الدراسية الأولى ألا نبالغ ونغالي في تقدير قيمة الواجب المنزلي . وهناك كثير من المدارس الممتازة لاتعطي واجباً منزلياً للأطفال الصغار . ويبدو على التلاميذ أنهم يحصلون على نفس القدر من الحكمة مثل هؤلاء الذين يعانون من الواجبات المنزلية المفروضة في سن السادسة والسابعة . إن القيمة الأساسية للواجب المنزلي هي أنه يعطى الأطفال تجربة العمل بأنفسهم . ولإحراز هذه القيمة ، مع ذلك ، يجب أن يكون الواجب المنزلي في مستوى الطفل وقدرته ؛ ولذلك لكي يعمل بشكل مستقل مع مساعدة ضئيلة من الآخرين . أما المساعدة المباشرة فقد تنقل للطفل أنه عاجز لو اعتمد على نفسه فقط .

ومع ذلك ، فالمساعدة غير المباشرة ، قد تكون مفيدة . فمثلاً ، يجب أن نتأكد أن للطفل خصوصياته : مكتب صغير مناسب ، كتب يرجع لها . ويمكننا أن نساعده أيضاً في تحديد الوقت المناسب للواجب المنزلي ، طبقاً لظروف الطقس وماشابه : ففي أيام الجو المعتدل في الربيع والخريف سيتجه خيال الطفل أولاً للعب ، ثم (نأمل ذلك) للواجب المنزلي . وفي أيام الشتاء الباردة يجب أن يأتي الواجب المنزلي أولاً ، إذا كان هناك وقت للتلفزيون فيما بعد .

ويُحَبَّب بعض الأطفال أن يكونوا بالقرب من أحد الكبار أثناء أداء واجباتهم المنزلية . وربما كان من الممكن السماح لهم باستخدام المنضدة التي في المطبخ أو حجرة الطعام . ومع ذلك ، يجب تقديم بعض التعليقات ، في هذا الوقت ، عن طريقة الجلوس ونظافة المظهر والترتيب ، أو الاعتناء بالأثاث .

وبعض الأطفال يعملون بشكل أفضل عندما يعصّون على أقدامهم ، أو يكون

رءوسهم ، أو يؤرجحون الكرسي . وتزيد تعليقاتنا وتعليقاتنا من الإحباط ، وتتعارض مع عملهم الذهني .

يجب ألا تعترض الأسئلة واجب الطفل المنزلي ولا الطلبات التي يمكن تأجيلها لوقت آخر . ويجب أن نظل في الخلفية نعطي الراحة والمساندة لا التعليقات والمساعدة . وقد نقوم ، من حين لآخر ، بتوضيح نقطة أو شرح جملة . ومع ذلك ، يجب أن نتجنب تعليقات مثل :

- لو لم تكن مشتت الفكر هكذا ، لكنت تذكّرت واجباتك .

- لو كنت انتبهت فقط لمدركك لكنت عرفت واجبك المنزلي .

يجب أن نعطي مساعدتنا بشكل مقتصد ، ولكن بحنان . ننصت أكثر مما نحاضر . نبين الطريق ولكن نتوقع أن يصل المسافر إلى وجهته بقدرته الشخصية .

إن موقف الآباء تجاه المدرسة والمدرسين قد يؤثر على موقف الطفل تجاه الواجب المنزلي . فإذا كان الأب من عادته أن يمسح بالمدرسة البلاط ويقلل من شأن المدرسين ، فسيخرج الطفل باستنتاجات واضحة .

يجب أن يدعم الآباء موقف المدرس ويساندوا سياسته إزاء الواجب المنزلي .

وعندما يكون المدرس صارماً ، سيكون للأبوين فرصة مدهشة ليكونا متعاطفين :

- إنها ليست سنة سهلة . . شغلها كثير !

- إنها سنة قاسية صحيح .

- إنه مدرس صارم بالتأكيد .

- أسمع أنه يطلب الكثير .

- أسمع أنه متشدّد خصوصاً بالنسبة للواجب المنزلي . أظن سيكون هناك الكثير من

الجهد هذا العام .

ومن المهم تجنب احتياجات الغضب اليومي على الواجب المنزلي :

- اسمع ، يا ناجي ، من الآن فصاعداً ستحفظ الكلمات الإنجليزية كل يوم . .
حتى يومى الخميس والجمعة . وليس هناك مزيد من اللعب بالنسبة لك ، ولا حتى
تليفزيون .

- سمير ! لقد مللت وتعبت من تذكيرك بالواجب المنزلي .

بابا سيتابعه معك . نحن لانريد أميين فى العائلة .

إن التهديدات و (العكننة) أمور شائعة ؛ لأنها تجعل المرء يعتقد بأنه فعل شيئاً إزاء
الموقف . وفى الواقع أن مثل هذه التحذيرات وهذا اللوم والعقاب أسوأ من كل شيء بل
هى عديمة الجدوى . ولا ينتج عنها إلا جو مشحون وأبوان تائران وطفل غاضب .

وكثير من الأطفال القادرين يتلكأون فى واجبهم المنزلى وإنجازهم فى المدرسة أقل
من المطلوب كنوع من التمرد اللاواعى ضد طموحات آبائهم . ولكى ينمو الطفل
وينضج ، يحتاج إلى أن يتمتع بحس من الشخصية الفردية والاستقلالية عن أمه وأبيه .
وعندما يتدخل الآباء بعاطفية شديدة فى سجل الطفل المدرسى ، يحس بالتدخل فى
استقلاله الذاتى . وإذا كان الواجب المنزلى والدرجات العالية للطفل تصيح ماسات فى
تاج أبويه ، فقد يفضل الطفل بلا وعى منه أن يأتى إلى البيت بتاج من الأعشاب على
أن يكون تاجه هو على الأقل .

وبعدم تحقيقه لأهداف أبويه ، يحقق الثائر الصغير إحساساً بالاستقلال . وهكذا ،
قد تدفع الحاجة إلى الشخصية الفردية والتفرد الطفل إلى الفشل ، على الرغم من
الضغوط والعقوبات الأبوية . وكما قال أحد الأطفال :

- يمكنها إلغاء التليفزيون وإلغاء المصروف ، ولكنها لن يتمكننا من إلغاء درجاتى
الضعيفة .

من الواضح أن مقاومة المذاكرة ليست بالمشكلة السهلة التى يمكن حلها إما
بالقسوة والشدة أو باللين والتساهل مع الأطفال . إن الضغط الزائد قد يزيد مقاومة

الطفل وعناده ، في حين أن سياسة عدم التدخل قد توحى بالنضج وتحمّل المسؤولية .
والحل ليس سهلاً ولا سريعاً . فبعض الأطفال قد يحتاجون إلى علاج نفسى لحل
مقاومتهم لوالديهم ولإحراز النجاح بدلاً من الرسوب .

والبعض الآخر قد يحتاج إلى مدرّس خاص على أن يكون له خلفية بنفسية الأطفال
وتربيتهم . ولكن من اللازم ألا يقوم الأبوان بعمل المدرس الخاص . إن هدفنا هو
إحساس الطفل بأنه شخص متفرد في حقوقه . . بعيداً عنا . . ومسئول عن نجاحه
وفشله . . وعندما يسمح للطفل أن يخوض تجربة التفرد بنفسه مع حاجاته وأهدافه
المتولّدة ذاتياً ، يبدأ بأخذ المسؤولية على عاتقه من أجل حياته ومطالبها .

المصرف :

يتمتع الطفل كفرد من أفراد الأسرة بغطاء الإنفاق العام للأسرة من مأكّل وملبس
وخلافه ، هذا بالإضافة إلى المصرف اليومي ، الذى يتحول كلما يكبر إلى أسبوعى وربما
شهري . والمصرف ليس مكافأة لحسن السلوك ولا مقابل الأعمال التى قد يقوم بها
الطفل . إنه وسيلة تربية لها غرض متميز : توفير الخبرة فى استخدام النقود فى ممارسة
الاختيارات واتخاذ المسئوليات . ولذلك ، الإشراف الزائد على المصرف قد يبطل
الغرض منه . كل ما هو مطلوب هو السياسة العامة التى تقرّر الجهات التى يتم إنفاق
المصرف فيها : الحلوى وبعض المأكولات الخفيفة ، أجرة المواصلاّت ، ما توفره
المدرسة من أمور استهلاكية ، الخ . وكلما كبر الطفل يكبر معه المصرف ؛ ليكفى
النفقات والمسئوليات الإضافية : مصاريف عضوية ، اشتراكات ، مطالب إضافية فى
الملبس وفى الترويح ، الخ .

وإساءة استخدام المصرف شىء يمكن توقّعه . فبعض الأطفال يسيئون تدبير
الميزانية ويبدرون . ففى هذه الحال يجب مناقشة ذلك مع الطفل بأسلوب عملى واقعى
للوصول إلى حلول يتفق عليها الطرفان . وقد يكون من المستحسن فى الحالات المتكررة
لإنفاق المصرف السريع أن يعطى للطفل مرتين أو ثلاث مرات فى الأسبوع .

ويجب عدم استخدام المصروف كهراوة فوق رأس الطفل لتمثل ضغطاً من أجل الإنجاز أو الطاعة . كما يجب ألا يوقف في أوقات الغضب أو يزداد وفق المزاج أو الهوى في أوقات الصفاء .

وماهو المصروف المعقول؟ بالطبع لا توجد إجابة عامة عن هذا السؤال . فالمصروف يجب أن يتلاءم مع ميزانيتنا . وبغض النظر عن مستويات الجيرة ، فيجب ألا نجاري أحداً على حساب إمكاناتنا ، وعلى قدر فراشك مدّ رجلتك . وإذا احتج الطفل ، فيمكننا إخباره بصدق وحنان :

- نتمنى أن نعطيك مصروفاً أكبر ، ولكن ميزانيتنا محدودة .

وهذه الطريقة أفضل من محاولة إقناع الطفل بأنه لا يحتاج في الواقع إلى أكثر مما يأخذ .

والمال مثل السلطة ، يمكن إساءة استخدامه بسهولة ، خصوصاً من قِبَلِ العَرِّ قليل الخبرة . ويجب ألا يكون المصروف أكبر من قدرة الطفل على التصرف فيه . ويستحسن البدء بمصروف صغير ، يُعَدَّل من وقت لآخر ، عن إغراق الطفل بهال وفير .

ومن الأفضل بدء المصروف مع بدء ذهاب الطفل إلى المدرسة ، ويكون قد تعلم عدّ النقود ووحداتها الصغيرة . ويوجد شرط ضروري بالنسبة للمصروف : أن ما يبقى منه بعد الإنفاق هو من حق الطفل ؛ ليوفره أو ليتفاخر به في إنفاقه .

الأصدقاء وزملاء اللعب :

نظرياً ، نحن نريد من أطفالنا أن يختاروا أصدقاءهم . إننا نؤمن بالحرية ، ونعارض الجبر والإكراه ، ونعلم أن التصادق الحر من الحقوق الأساسية للإنسان . ومع ذلك فليس من المستبعد أن يأتى الطفل البيت ومعه «أصدقاء» نجدهم نحن منقّرين . فقد لا نحب المتنمرين أو المتبجحين ، أو قد نجد صعوبة في تقبّل الصياحين البكّائين سائلي الأنوف . ولكن إذا لم يكن سلوكهم يضايقنا فعلاً ، فمن الأفضل أن ندرس طفلنا وتفضيلاته وانجذباته قبل التدخل في اختياراته .

أى مقياس يمكننا استخدامه لتقييم اختيار طفلنا لأصدقائه ؟

يجب أن يمارس الأصدقاء تأثيراً إيجابياً نافعاً يعود بالخير على بعضهم البعض . والطفل يحتاج إلى فرص لمصادقة شخصيات مختلفة عنه ومكمّلة له ، وهكذا ، فالطفل المنطوى على نفسه يحتاج إلى مصاحبة أصدقاء أكثر انفتاحاً ، والمفرط في العناية به يحتاج إلى زميل لعب استقلالي ، والطفل الميال للخوف يجب أن يكون في صحبة صغار أكثر شجاعة ، والطفل في مراحل نشأته الأولى يمكن أن يستفيد من رفيق لعب أكبر وأكثر نضجاً . والطفل الذي يركن كثيراً إلى الخيال يحتاج إلى تأثير أطفال أكثر واقعية .

والطفل العدوانى يمكن أن يرتدع مع رفيق لعب يكون قوياً ، ولكن ليس محباً للقتال . إن هدفنا هو تشجيع العلاقات الإصلاحية بتعريض الطفل لأصدقاء لهم شخصيات مختلفة عن شخصيته .

وتحتاج بعض الصداقات إلى عدم التشجيع . والأطفال في نشأته الأولى يتغذون فقط على نضج بعضهم البعض . والأطفال المحبون للقتال يعززون فقط عدوانية بعضهم البعض . والأطفال المنعزلون المنطوون على أنفسهم لايشغلون بما فيه الكفاية بالمجتمع ومافيه من أخذ وعطاء . والأطفال المهملون الجانحون قد يعززون ميول بعضهم البعض المعادية للمجتمع .

ويجب اتخاذ عناية خاصة لمنع الأطفال الذين يزينون السلوك الإجرامى من أن يصبحوا أصدقاء مهيمنين ؛ لأنهم قد يحرزون هالة بطولية في المدرسة أو في الحى ، ويصبحون نماذج غير مرغوب فيها للمطابقة والتقليد .

إن الأمر يحتاج إلى نظام كيس من المراجعة والموازنة للسماح للطفل بمسئولية اختيار أصدقائه ، فيما نحتفظ نحن بمسئولية التأكد من أن الاختيار هو اختيار نافع مفيد .

العناية بالحيوانات الأليفة .

عندما يعد طفل بالاعتناء بحيوان أليف ، فهو يظهر فقط النوايا الطيبة ، وليس الدليل على القدرة . والطفل قد يحتاج إلى حيوان أليف ، ويريده ويحبه ، ولكن من

النادر أن يكون قادراً على الاعتناء به على الوجه السليم . ومسئولية حياة هذا الحيوان لا يمكن أن تكون مسؤولية الطفل وحده . ولتجنب الإحباط والانتهاكات الضارة ، فمن الأفضل افتراض أن الحيوان الأليف بالنسبة للطفل معناه عمل للأبوين . وقد يستفيد الطفل بشكل عظيم من حصوله على حيوان أليف يلعب معه ويحبه . وبالطبع سيستفيد أيضاً من المشاركة في العناية به . .

ولكن مسؤولية حياة الحيوان الأليف ورعايته يجب أن تظل على عاتق الكبار .

عبارات فضفاضة :

الأبوان الناجحان مثل المدرس الناجح الذي يجعل من نفسه بالنسبة للأطفال شخصاً يمكن الاستغناء عنه بشكل متزايد . إنهما يشعران بالارتياح في العلاقات التي تقود الأطفال إلى عمل اختياراتهم الخاصة بهم وفي استخدام قواهم الشخصية .

وفي محادثاتنا مع الأطفال ، يمكننا أن نحرص على استخدام عبارات توجيى بإيماننا بقدرتهم على اتخاذ قرارات حكيمة لأنفسهم . وهكذا ، عندما تكون استجابتنا الداخلية لطلب الطفل هي «نعم» ، يمكننا أن نعبر عن ذلك في صياغة تشجع الطفل على الاستقلال . وإليك بعض الطرق لقول «نعم» ، بعبارات فضفاضة :

- إذا أردت ذلك .

- إذا كان هذا هو فعلاً ما تحب .

- إنه قرارك .

- هذا يرجع إليك بالفعل .

- إنه اختيارك أنت نفسك .

- مهما كان قرارك فأنا موافق .

قد تكون كلمة «نعم» منا مشبعة للطفل ، ولكن الصيغ الأخيرة تعطيه ارتياحاً إضافياً لعمل قراراته بنفسه ، والاستمتاع بإيماننا فيه .